

مخيمات غزة في الجامعات البريطانية.. العلاقة مع إسرائيل في قفص الاتهام

مع مطالب هذه المخيمات الاحتجاجية، وهو أمر منوط بقدر كبير باحتمالية تجدد الحراك الطلابي مع بداية السنة الدراسية الجديدة في أواخر شهر سبتمبر/أيلول القادم، إلا أنه من المؤكد سيكون هناك تأثيرات لهذا الحراك على المستقبل البعيد داخل المؤسسات الجامعية وخارجها في بريطانيا.

خلفية

بدأ الطلاب في الجامعات البريطانية في تصعيد احتجاجاتهم داخل الجامعات، تعبيراً عن رفضهم استمرار الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين في غزة ودعمًا لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، في الأول من شهر أيار ٢٠٢٤، من خلال احتلال مساحات داخل الحرم الجامعي وبناء مخيمات للاعتصام والاحتجاج المتواصل

مع انتهاء السنة الدراسية في الجامعات البريطانية، وتوقف معظم مخيمات الاعتصام لأجل غزة في ٣٦ جامعة بريطانية عن النشاط، تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الحراك الطلابي المناصر للقضية الفلسطينية، تتمثل بوضع علاقة المؤسسات الأكاديمية في المملكة المتحدة مع إسرائيل موضع مساءلة واتهام، لتصبح مطالب قطع العلاقات وسحب الاستثمارات في مركز النقاش العام والنضال الطلابي داخل هذه الجامعات. من المبكر معرفة الأثر المباشر لمخيمات الاعتصام الطلابية التي امتدت شهرين متواصلين ومنها أكثر، وكيف ستؤثر في المستقبل القريب على تعامل الجامعات

* صحافي وكاتب وباحث من فلسطين. يعمل مراسلاً لصحيفة وموقع «العربي الجديد» في بريطانيا. درس في السابق في جامعة Sussex البريطانية.

مخيمات غزة في الجامعات البريطانية.. العلاقة مع إسرائيل في قفص الاتهام

من المبكر معرفة الأثر المباشر لمخيمات الاعتصام الطلابية التي امتدت شهريين متواصلين ومنها أكثر، وكيف ستؤثر في المستقبل القريب على تعامل الجامعات مع مطالب هذه المخيمات الاحتجاجية، وهو أمر منوط بقدر كبير باحتمالية تجدد الحراك الطلابي مع بداية السنة الدراسية الجديدة في أواخر شهر سبتمبر/أيلول القادم، إلا أنه من المؤكد سيكون هناك تأثيرات لهذا الحراك على المستقبل البعيد داخل المؤسسات الجامعية وخارجها في بريطانيا.

انحسرت في السابق القضايا بشؤون مطلبيّة تتعلق بمجانية التعليم أو تكلفة السكن وغيرها من قضايا حياتية وفي سنوات قليلة سابقة بدأت تبرز قضايا البيئة والمناخ، لتكون هذه المخيمات الأطول مدّة بهذا العدد على صعيد وطني وعلى قضيتة تعتبر خارجيّة وتعلق ببلد آخر وهي فلسطين.

كيف تشكل الحراك الطلابي الحالي؟

لم يولد الحراك الطلابي الحالي ويأخذ هذا الشكل في يوم واحد، وليس نتيجة ردة فعل على مشاهد المجازر الدموية المروعة التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي بحق الفلسطينيين فقط، بل هو نتاج سنوات من تراكم العمل والنشاط داخل الجامعات لدعم القضية الفلسطينية، من خلال النوادي الطلابية أو تبني عدد من اتحادات الطلاب في الجامعات لمعايير مقاطعة إسرائيل، وانتشار خطاب يُعرّف دولة إسرائيل كدولة فصل عنصري ونظام استعماري استيطاني بين الطلاب وأيضًا بين العديد من الأساتذة.

بالنسبة للعديد من الطلاب الذين يدرسون عن الاستعمار ونزع الاستعمار في الجامعات الغربية، كانت لحظة الإبادة الجماعية في غزة مع بداية عامهم الدراسي، لحظة لتحويل ما يدرسونه في مؤسساتهم الأكاديمية عن نظريات نزع الاستعمار إلى ممارسة على أرض الواقع من خلال مساءلة هذه المؤسسات عن دورها في تعزيز الحالة الاستعمارية في فلسطين عبر استثماراتها المالية الخاصة وتعامل الجامعات مع بنوك متورطة بالإبادة الجماعية، والعمل على إلغاء العلاقات مع المؤسسات الأكاديمية في دولة الاحتلال.

كما هو معلوم، فإن الجامعات البريطانية وعلى غرار العديد من الجامعات الغربية، لا تعتبر مؤسسات مملوكة للدولة بشكل كامل، بل يمكن

مطالبين إدارة الجامعات بمجموعة مطالب محددة، تتعلق بسحب استثمارات الجامعات في مؤسسات متورطة مع الاحتلال الإسرائيلي وقطع العلاقة مع الجامعات والمؤسسات الإسرائيلية، إضافة لمجموعة مطالب رمزية أخرى لدعم الفلسطينيين أكاديميًا.

شهدت الجامعات البريطانية قبل هذا التاريخ وبعد بداية حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية على غزة، حراكًا مختلفًا مثل التظاهرات والأنشطة التضامنية والثقافية التقليدية والحملات الإعلامية، لكن بعد انطلاق الحراك الطلابي في الجامعات الأميركية باحتلال المباني وبناء المخيمات، امتدت الموجة الطلابية الاحتجاجية لجامعات ودول أخرى حول العالم خصوصًا في الدول الغربية، مع أن بعض الجامعات البريطانية شهدت احتلال مباني قبل الجامعات الأميركية لكنها لم تأخذ صدى كما حصل في الولايات المتحدة، لأسباب تتعلق بعدم قيام إدارة الجامعة بقمع الاعتصام بشكل عنيف أو مواجهته بشكل حاد كما حصل في جامعة كولومبيا في نيويورك على سبيل المثال، والتي كانت الشرارة التي حفزت الحركات الطلابية حول العالم.

في الأول من أيار، وبتنظيم شديد السرية والتخطيط المحكم المسبق، انطلق عددٌ من مخيمات الاحتجاج الفجائية داخل مباني أو ساحات في الحرم الجامعي، بحيث يقوم الطلاب باحتلال المساحة ووضع خيام والإعلان عن المنطقة كمنطقة «محررة»، ووضع قائمة المطالب بشكل علني ومكتوب أمام المارّة¹. هذا الأسلوب من الاحتجاج الطلابي ليس جديدًا في تاريخ الحركة الطلابية في جامعات المملكة المتحدة، ويعود جذوره إلى عقود من الزمن منذ سنوات الستينات حتى اليوم، وهو شكل أكثر راديكالية في العمل الطلابي. إلا أن المختلف عن جميع تجارب الطلاب في احتلال المباني والمساحات هو القضية التي يخرج لأجلها الطلبة، إذ



■ المخيم الطلابي في جامعة UCL لندن. (صحف)

لحركات التضامن مع فلسطين خارج الجامعات، لعبها دورًا مهمًا في إثارة العلاقة بين الجامعات والمؤسسات والشركات المتورطة مع الاحتلال الإسرائيلي، من خلال تقارير وبحوث منشورة^[2] ونشاطات توعوية عديدة. المطالب نفسها التي رفعها الطلاب المعتصمون في مخيمات التضامن مع غزة في الأشهر الأخيرة، كانت حاضرة خلال السنوات الماضية في أكثر من إطار واحتجاج لكن بأشكال أخرى أقل بروزًا وحضورًا داخل الحرم الجامعي والفضاء العام، مما رأيناه في حراك احتلال المساحات الحالي. لم يكن أحدًا في إدارة الجامعات أو الطبقة السياسية يتوقع أن يقوم الطلاب بخوض هذا النضال لأجل القضية الفلسطينية داخل الجامعات البريطانية على النطاق الواسع، وأن يتصدر عناوين الأخبار.

المبنى التنظيمي وتقاطع النضالات

تقوم المخيمات الطلابية على أساس مبنى تنظيمي غير هرمي ولا مركزي، من خلال بناء قاعدي يُمكن أي

تعريفها كمؤسسات عامّة مستقلة، تمويلها الدولة جزئيًا من خلال الحكومة إضافة للتمويل القادم من رسوم الطلاب. لكن لهذه الجامعات أيضًا تمويلها الخاص من تبرعات خاصة، أو شراكات مع القطاع الخاص واستثمارات وعائدات البحث، تحكمها إدارة مستقلة ومجالس أمناء تضع وتدير عمليات الاستثمار الخاصة هذه بهدف تحقيق المزيد من الدخل المادي. في العقدين الأخيرين ومع اتساع نضال حركات العدالة الاجتماعية، أصبحت الجامعات تواجه بشكل أكبر مساءلات ومطالبات بقطع العلاقة مع شركات أو مؤسسات معينة من منطلقات أخلاقية بسبب تورط تلك الشركات في انتهاكات لحقوق الإنسان أو عمليات تخريب للبيئة والمناخ وتورط في حروب وغيرها، وكانت المطالب بقطع العلاقة مع الجامعات الإسرائيلية ضمن الحراك الداخلي الجاري دون ضجيج، والذي كان يُعتبر جزءًا من النقاش الحي والديمقراطي داخل الحرم الأكاديمي. يُحسب لحركة مقاطعة إسرائيل وعملها إضافة

مخيمات غزة في الجامعات البريطانية.. العلاقة مع إسرائيل في قفص الاتهام

بالنسبة للعديد من الطلاب الذين يدرسون عن الاستعمار ونزع الاستعمار في الجامعات الغربية، كانت لحظة الإبادة الجماعية في غزة مع بداية عامهم الدراسي، لحظة لتحويل ما يدرسونه في مؤسساتهم الأكاديمية عن نظريات نزع الاستعمار إلى ممارسة على أرض الواقع من خلال مساءلة هذه المؤسسات عن دورها في تعزيز الحالة الاستعمارية في فلسطين عبر استثماراتها المالية الخاصة وتعامل الجامعات مع بنوك متورطة بالإبادة الجماعية.

مجموعة وضع برامج تثقيفية وتعليمية، مجموعة للدعم والمتابعة القانونية، مجموعة تقيم بشكل دائم قدر الإمكان وتبيت داخل المخيم، مجموعة للعمل الإعلامي، مجموعة لتنسيق الأمور اللوجستية مثل توفير الطعام والخيام، الذي غالباً ما يتم من خلال دعم من المجتمع المحلي وحركات التضامن خارج الجامعة، أو إطلاق حملة تمويل شعبي عبر الإنترنت، مجموعة وضع استراتيجيات وتخطيط التصعيد تجاه إدارة الجامعة، فيما سيكون هناك مجموعة مهمتها التواصل مع إدارة الجامعة في حال يتم التوصل لاتفاق للدخول في مفاوضات حول المطالب.

لا يعتبر حراك المخيمات في الجامعات حراكاً واحداً، بل مجموعة من الحركات الناشطة في كل جامعة، واستقلالية لكل جامعة في عملها، إلا أنه يجري بعض التنسيق في قضايا عمومية، كما يجري بعض التنسيق وتبادل الخبرات في العمل بين مخيمات جامعات لندن، إلا أنه بالمجمل يتصرف كل مخيم بشكل مستقل من قبل الطلاب أنفسهم دون أي تدخلات من جهات خارجية.

ردود الفعل على المخيمات

تباينت ردود الفعل من قبل إدارة الجامعات البريطانية على حراك المخيمات، ما بين التجاوب الطفيف إلى التجاهل أو رفض الدخول في مفاوضات، في الوقت الذي أشارت فيه البيانات الرسمية الصادرة عن معظم الجامعات تأكيدها على حق التعبير عن الرأي. بدأ تعامل إدارة الجامعات في بداية انطلاق المخيمات الطلابية، معولاً على أن تنتهي من تلقاء نفسها دون الحاجة لفضها أو الدخول في مواجهة مباشرة مع الطلاب، مع الإشارة إلى أن الاعتصامات الطلابية في بريطانيا لم تشهد قمعاً مثلما رأينا في عدد من الجامعات الأميركية، مع استثناء عدد قليل من الحالات

شخص بغض النظر عن خلفيته السياسية والثقافية والأيدولوجية، الانخراط في النشاط داخل المخيم شرط الاتفاق على مبادئ عامة وأهداف يتم صياغتها والاتفاق عليها بشكل مشترك.

غالباً ما يكون الطلاب الأوائل الذين يطلقون النواة الأولى للمخيم، لديهم خلفية ونشاط سياسي سابق، أو منخرطين في مجموعات ناشطة أخرى. عكست المخيمات الطلابية لأجل غزة تقاطع النضال الذي يمكن للقضية الفلسطينية أن تمثله كقضية تحرر وعدالة بالنسبة للعديد من الناشطين وحركات العدالة الاجتماعية، إذ يمكن تشخيص ذلك كحالة موجودة في كل المخيمات الطلابية.

يأتي الطلاب المعتصمون من خلفيات مثل حركات يسارية راديكالية، أو حركات البيئة والمناخ، حركات نسوية وكويرية، مجموعات دينية مثل النوادي الإسلامية أو مجموعات يهودية ضد الصهيونية، وطلاب فلسطينيين وعرب أو طلاب دوليين يرغبون بفعل شيء مباشر من أجل القضية الفلسطينية.

يجري الإعداد لإطلاق المخيم في البداية بين مجموعة صغيرة وبشكل سري، والتي تقرر أن تقوم بفعل مباشر وأكثر راديكالية، مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية تقديم توضيحات على صعيد الوقت والدراسة أو التعرض لملاحقة وتضيقات من إدارة الجامعة، أو حتى الاعتقال، على أن تتوسع المجموعة مع إطلاق المخيم الذي سوف يهدف لاستقطاب طلاب جدد طوال الوقت وبناء حراك واسع داخل الحرم الجامعي.

مع انطلاق المخيم، يُفتح الباب لأي طالب للانضمام ليكون جزءاً من عملية تطوير حياة المخيم، وجزءاً من آلية اتخاذ القرارات على ضوء مستجدات يومية تتعلق بتعامل الجامعة مع المخيم وأشكال النضال.

يتم تقسيم العمل إلى مجموعات عديده، مثل



■ في المخيم الطلابي في جامعة سايكس. (صحف)

مجددًا. فيما وافقت جامعة ريدينغ على قطع العلاقات الماليّة مع بنك باركليز، وهو البنك المتهم بالتعامل مع شركات الأسلحة التي تزود إسرائيل بالسلاح، وتطالب مخيمات طلابيّة عديدة بقطع العلاقات مع هذا البنك الذي كان له تعاملات مع نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا سابقًا.

كما بادر رئيس الحكومة البريطانيّة السابق وزعيم حزب المحافظين ريشي سونك، إلى عقد اجتماع مع نواب رؤساء الجامعات بهدف مواجهة ما أسماه «تصاعد معاداة السامية» في الجامعات.

إمكانية تحقيق المطالب

بعد أكثر من شهرين من الاعتصام المتواصل، نجحت المخيمات الطلابيّة في ٣٦ جامعة مختلفة من الجامعات البريطانيّة، بوضع علاقة الجامعات واستثماراتها مع الاحتلال الإسرائيلي، تحت المسألة والانتهاج، وتحويل قضية الإبادة الجماعيّة الحاصلة في قطاع غزّة إلى قضية طلابيّة داخل الحرم الجامعي ووضع علاقات الجامعات مع إسرائيل إلى موضوع يجب بحثه والمطالبة بتغيير هذه العلاقات.

كما نجحت ببناء حراك طلابي واسع وقف خلفه

تدخلت فيها الشرطة بشكل عيني ومحدود بحق مجموعة من الطلاب لكن ليس ضد المخيم الطلابي بأكمله.

ويمكن اعتبار لهجة إدارة الجامعات الرسميّة بشكل عام تجاه المخيمات، لهجة معتدلة تتراوح بين التأكيد على ممارسة حرية التعبير والنشاط الطلابي والتحذير من ممارسات غير قانونيّة أو أعمال تخريب أو إعاقة للعمليّة التدريسيّة. إلا أنه لاحقًا، لجأت بعض الجامعات إلى المحاكم بهدف فض المخيمات مثل جامعة برستول وجامعة نوتنغهام وجامعة برمنغهام^[٢]، أو التهديد بذلك.

وكان لنقابات الأساتذة والعاملين في الجامعات مواقف واضحة تجاه دعم حراك الطلاب ومطالبهم، من خلال بيانات عامّة للنقابة أصدرت^[٤]، وأخرى محلية داخل كل جامعة^[٥]، وتضمنت المواقف تأييد مقاطعة المؤسسات الأكاديميّة الإسرائيليّة المتورطة بشكل مباشر في مشاريع مع الاحتلال الإسرائيلي.

خاض عدد قليل من الجامعات مفاوضات مباشرة مع الطلاب مثل جامعة جولدسميث في لندن، اتفقوا من خلالها على مجموعة من القضايا ليعلن الطلاب لاحقًا عدم تنفيذ إدارة الجامعة المطالب ليعودوا للاعتصام

مخيمات غزّة في الجامعات البريطانيّة.. العلاقة مع إسرائيل في قفص الاتهام

لا يعتبر حراك المخيمات في الجامعات حراكًا واحدًا، بل مجموعة من الحركات الناشطة في كل جامعة، واستقلالية لكل جامعة في عملها، إلا أنه يجري بعض التنسيق في قضايا عمومية، كما يجري بعض التنسيق وتبادل الخبرات في العمل بين مخيمات جامعات لندن، إلا أنه بالمجمل يتصرف كل مخيم بشكل مستقل من قبل الطلاب أنفسهم دون أي تدخلات من جهات خارجية.

دون أن يتم الإعلان بشكل رسمي عن ذلك، وهو ما يمكن أن نطلق عليه «المقاطعة الهادئة» لإسرائيل. ومع فشل الحكومة السابقة في تمرير قانون المقاطعة الذي كان يستهدف بالأساس حركة مقاطعة إسرائيل، سيكون من الأسهل لحراك المقاطعة العمل والنشاط والتأثير. وسيكون للمراكمة الطلابية في تكوين حراك ومعرفة وخبرة من خلال المخيمات، إضافة نوعية لرفد حراك مقاطعة إسرائيل وإمكانية تحقيق إنجازات على المستقبل القريب، لكن على الأغلب ستأخذ العملية المزيد من الوقت وتتعلق بقدرة الحراك الطلابي وحلفائه في الاستمرار والمراكمة حتى الوصول إلى المقاطعة الكاملة على غرار مقاطعة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وهو ما قد يحتاج لعدد من السنوات. كما سيمتلك هذا الجيل من الطلاب القدرة على التأثير بشكل أكبر في المستقبل البعيد عندما يصبحون في مواقع صنع القرار.

المراجع

- [1] جامعات بريطانية تنضم إلى الحراك الطلابي الداعم لغزة: اعتصامات ممتدة/ العربي الجديد: <https://www.alaraby.co.uk/society>
- [2] جامعات بريطانية-تنضم إلى-الحراك-الطلابي-الداعم-لغزة-اعتصامات-ممتدة مسح أجرته حركة التضامن مع فلسطين في بريطانيا حول تورط الجامعات البريطانية في الاستثمار بشركات متورطة مع الاحتلال الإسرائيلي: <https://palestinecampaign.org/university-complicity-database/>
- [3] جامعات بريطانية تلجأ للقضاء لفض مخيمات التضامن الطلابية مع غزة: <https://www.alaraby.co.uk/society>
- [4] UCU statement in support of campus Palestine protests: <https://www.ucu.org.uk/article/13561/UCU-statement-in-support-of-campus-Palestine-protests>
- [5] Sussex UCU Executive Committee statement supporting the Sussex Palestine solidarity encampments: <https://sussexucu.org/2024/05/14/sussex-ucu-exec-statement-supporting-the-sussex-palestine-solidarity-encampments/>

وأيدته آلاف الطلاب من خلال الانخراط الفعلي في المخيمات والنوم والنشاط فيها، أو من خلال المشاركة بأنشطة المخيمات والتردد عليها، أو تأييدها بشكل علني ونشر نشاطاتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي كانت استخدمت كأداة تحشيد. كذلك تمكنت هذه المخيمات الطلابية من كسر تابوهات تتعلق بنقد إسرائيل في الجامعات الغربية، والتعامل معها كدولة استعمارية استيطانية ونقل نظريات نزع الاستعمار من قاعات المحاضرات إلى ساحات الجامعات.

لم تتجاوب غالبية الجامعات مع مطالب الطلاب، ورفضت العديد منها الدخول في مفاوضات رغم قيام الطلاب في أكثر من جامعة بعمليات تصعيد من أجل ذلك، لكن قامت جامعات أخرى بإبداء استعدادها مثلما حصل في واحدة من أهم وأعرق الجامعات البريطانية وهي جامعة أكسفورد. توقفت معظم المخيمات الآن عن عملها مع نهاية العام الدراسي ومغادرة الطلاب الحرم الجامعي، لكن بيانات المخيمات أشارت إلى أن هذا الحراك هو البداية، فيما أعلنت عدد من المخيمات أنها سوف تعود مع بداية العام الدراسي القادم.

من المؤكد أن العلاقة بين الجامعات البريطانية والجامعات والمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية سوف تتعرض للضرر إن لم يكن قد تعرضت بشكل فعلي الآن، لكن دون إعلان رسمي عن ذلك. إذ أصبح العديد من أقسام الجامعات أو المحاضرين يرفضون الشراكة مع مؤسسات إسرائيلية من خلال أبحاث، أو مؤتمرات، أو مشاريع واستضافات، ويستبعدون العمل معها أو يتخوفون، خصوصًا في أعقاب التهم الموجهة لإسرائيل في محكمة العدل الدولية بالإبادة الجماعية، وبعد صدور العديد من التقارير التي تبين انخراط الجامعات الإسرائيلية في المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية وفي الإبادة الحاصلة حاليًا. سيستمر هذا الضرر في السنوات القادمة لكن من